(Libyan Journal of Contemporary Academic Studies) المجلة الليبية للدراسات الأكاديمية المعاصرة
LJCAS, eISSN: 5970-3005
Volume 3, Issue 2 (Part II), 2025, Pages: 31-52

The Scientific Movement in the Levant during the Islamic Conquest: The Transmission of prophetic Hadith as a Model

Fatima Said Khalifa Mohamed *
Department of History, Faculty of Education, University of Sabratha , Surman, Libya
*Corresponding author: fatima771@gmail.com

الحركة العلمية في الشام إبان الفتوحات الإسلامي رواية الحديث الشريف وتدوينه إنموذجا

أ. فاطمة سعيد خليفة محمد *
قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة صبراتة، صرمان، ليبيا

Received: 24-07-2025; **Accepted:** 29-09-2025; **Published:** 13-10-2025

Abstract

This research entitled " The Scientific Movement in the Levant during the Islamic Conquest: The Transmission of prophetic Hadith as a Model" is a historical study that addresses an important aspect of the intellectual activity in the Levant during the period of Islamic expansion namely, the narration and recording of the Prophetic Hadith. This constituted a significant dimension of the scholarly renaissance that emerged in the region at that time.

The study is divided into two main sections. The first section provides an overview of the situation in al-Sham before and after the Islamic conquest. It includes two subtopics: the first discusses the living conditions and demographic realities of al-Sham, while the second examines the prevailing cultural patterns in the region, their diversity, and the Muslim attitude toward them following the conquest.

The second section also consists of two subtopics, both focusing on the Prophetic Hadith as a model of the scientific activity that characterized al-Sham during that period. The first subtopic is devoted to the narration of the Hadith—its beginnings, its narrators among the Companions, the Followers, and the Followers of the Followers (may Allah be pleased with them all)—as well as the stages through which its conditions and criteria evolved over time. The second subtopic deals with the documentation of the Hadith, exploring its stages, causes, requirements, methods, and forms, as well as the distinctive features that characterized the process of Hadith compilation in al-Sham compared with other Islamic regions.

This study seeks to underscore the significance of the scholarly the significance of the scholarly renaissance that accompanied the Islamic conquest of the Levant " al-Sham", a movement whose positive effects were felt throughout the region.

Furthermore, the study aims to shed light on the central role that the Prophetic Hadith played within this intellectual movement, alongside other sciences such as Qur'anic studies, recitation, exegesis, medicine, astronomy, and more fields that flourished during this era of scientific and cultural vitality.

Finally, the study endeavors to trace the efforts of Muslims during the Islamic Conquests to elevate the level of knowledge across all domains, documenting their remarkable contributions. In doing so, it aspires to inspire contemporary efforts to emulate their example, so that we too may revive our intellectual and cultural vigor and rejoin the march of civilization in this modern age of science and knowledge especially as we are the nation of "Read".

Keywords: Historical Trace, Companions, Tabi'in, Shame Hadith Scholar, Shame Narrator, Civilizational Center, Chain of Narrations, Existential Pluralism, Civilizational Transformation, Sham Identity, The Islamic Conquests, Scientific Beacons, Islamic Countries.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص:

ملخص هذا البحث الذي جاء موسوما ب (الحركة العلمية في الشام إبان الفتوحات الإسلامية/ رواية الحديث النبوي الشريف إنموذجا) وهي دراسة تاريخية متواضعة تناولت جانبا مهما من الحركة العلمية في بلاد الشام خلال الفتح الإسلامي، الا وهو رواية الحديث النبوي الشريف وتدوينه باعتباره جانبا مهما تضمنته تلك النهضة العلمية التي انتابت بلاد الشام آن ذاك.

وقد قُسمت هذه الدراسة على مبحثين اثنين، أولهما: قدَّم لمحة على واقع الشام قبيل الفتح الإسلامي وبعيده، تضمنت مبحثين اثنين أيضا: أحدهما تحدث عن الظروف الحياتية، والواقع السكاني في بلاد الشام، أما الآخر، تناول الثقافات السائدة في المنطقة وتنوعها وتعددها وموقف المسلمين منها بعد الفتح.

أما المبحث الثاني، فقد تضمن أيضا مطلبين اثنين عنيا بالحديث النبوي الشريف الذي كان أنموذجا لتلك الحركة العلمية ببلاد الشام في ذلك الوقت، قُسِّم هو الآخر على مبحثين اثنين، أولهما خُصِّص لرواية الحديث وما إليها من بدايات، ورواة من الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم – رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم - ومن مراحل تطور شروطها وضوابطها عبر الأيام.

أما المطلب الثاني، فقد تناول مسألة تدوين الحديث، ومراحله، وأسبابه، وشروطه، وأساليبه، وأنماطه؛ وأخيرا الميزات التي ميزت عملية تدوين الحديث في بلاد الشام عن غيرها من بقية الأمصار الإسلامية الأخرى.

سعت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية تلك النهضة العلمية التي واكبت الفتح الإسلامي في بلاد الشام من خلال تلك الحركة العلمية التي عمت الشام قاطبة، وظهر أثرها الايجابي على المنطقة بأسرها آنذاك.

كذلك تهدف الدراسة للكشف عن ذلك الاهتمام بالحديث النبوي الشريف ضمن تلك الحركة العلمية باعتباره هدفا رئيسا لها مثله في هذا مثل باقي العلوم التي منها القرآن الكريم، والقراءات، والتفسير، والعلوم الأخرى كعلم الطب، وعلم الفلك، وغيرها من تلك التي تطورت وازدهرت النهضة العلمية في الشام خلال الفتح الإسلامي.

كما سعت هذه الدراسة إلى تلمس خطوات المسلمين خلال الفتح الإسلامي التي خطوها للرقي بمستوى العلم في كافة الميادين، ورصد مجهوداتهم الجبارة، عسانا اليوم أن نحاكيها للنهوض من جديد لنتمكن من اللحاق بركب الحضارة في هذه العصر عصر العلم والمعرفة، لا سيما ونحن أمة اقرأ!

الكلمات المفتاحية :الفتح الإسلامي، التتبع التاريخي، الصحابة، التابعين، المحدث الشامي، الراوي الشامي، المركز الحضاري، الإسناد، التعدد الوجودي، التحول الحضاري، هوية الشام، منارات علمية، الأمصار الإسلامية.

مقدمة

في غرة القرن السابع الميلادي مرت منطقة بلاد الشام بتحولات كبيرة كثيرة بسبب الفتوحات الإسلامية وكان لهذه الفتوحات الإسلامية الأثر البالغ مما خلق أبعادا في جميع المناحي الدينية منها، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والانسانية.

ولعل هذه التغيرات الكبرى التي أضفاها الفتح الاسلامي على منطقة الشام قاطبةً والأحداث الجسام التي لامست نمط الحياة في تلك البلاد تستحق وبجدارة الوقوف عندها وسبر أغوارها والكشف عنها.

ولعل هذا العمل المتواضع يعدُّ محاولةً في هذا الصدد يهدف إلى دراسة الواقع السكاني وأحوال الحياة في تلك المنطقة إبان الفتوحات الإسلامية؛ ومن ثَمَّ التتبع التاريخي لمراحل رواية الحديث النبوي الشريف وتدوينه، وكذلك رصد المستوى الذي آلت إليه العناية بالحديث النبوي الشريف ببلاد الشام في تلك الآونة خلال الحركة العلمية والنهضة الفكرية التي كانت وبلا شك نتيجة للفتح الإسلامي لتلك البلاد.

وقد اعتمدت هذه الدراسة منهجين علميين اثنين، وهما المنهج العلمي التاريخي، والمنهج العلمي الوصفي التحليلي اللذين ساعدا كثيرا في تتبع وقائع هذه الحقبة من الزمن، وكانا عونا في الوصول إلى الحقائق التاريخية في بلاد الشام خلال الفتح الإسلامي.

وقد تضمن هذه الدراسة على: مقدمة، ومبحثين اثنين سارت عليهما الباحثة وصولا إلى نتائج واضحة جلية، المبحث الأول كان لمحة عن واقع الشام عند الفتح الإسلامي وقبيله، قسمته على مطلبين اثنين: أولهما تحدثت فيه عن الظروف الحياتية والواقع السكاني في بلاد الشام آن ذاك.

وثانيهما: تناول قضية تعدد الثقافات وأثره في الحركة العلمية في الشام خلال الفتح الإسلامي.

أما المبحث الثاني، فدار حول الحديث الشريف قسمته على مطلبين اثنين، الأول تمثل في رواية الحديث النبوي الشريف شروطها وأنماطها وما إلى ذلك.

المطلب الثاني، فقد خصصته للحديث عن مسألة تدوين الحديث النبوي الشريف أسبابها وأهدافها، ثم ذَيّلت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة المتواضعة، مشفوعة بتوصية رأت الباحثة أن الحاجة ملحة للأخذ بها.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المبحث الأول: لمحة عن واقع الشام عند الفتح الإسلامي

المطلب الأول: الظروف الحياتية والواقع السكاني:

قبل الحديث عن ظروف الحياة واقع السكان في منطقة الشام لدينا وقفة قصيرة عند ماهية إطلاق لفظة الشام عل ى رقعة الأرض هذه، وكذلك تبيين حدودها وأبعادها الجغرافية طولا وعرضا.

أما عن سبب تسميتها بالشام، فقد اختلف المؤرخون، وكذلك اللغويون في هذا الأمر الذي يبرر ذلك التعدد في الآراء التي جعلت من تلك الأسباب أسبابا متعددة، ولعل الواجب هنا في هذه العجالة أن نذكر بعضا من أقوال العلماء مؤرخين ولغويين وأراءهم التي حاولوا بها تفسير سبب تسمية الشام بالشام، والتي منها:

تعدد قرى الشام وكثرتها فشبهوا كلًّا منها بالشامة ورأوا أنهما كالشامات المتقاربة، فأطلقوا عليها هذا الاسم فأسموها بالشام.

والشأم بلاد تذكر وتؤنث، وسميت بها؛ لأنها عن مشأمة القبلة، أي عن شمالها[1]، حيث يرى بعض اللغويين أن الشام جاءت من الشؤم أي الجهة اليسرى، وهي الجهة التي تكون على يسار الكعبة أي شمالها؛ وقيل نسبة للشمال، وقيل أنها سُميت كذلك بهذا الاسم نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، حيث يروى أنه سكن تلك المنطقة، وأن معظم ذريته نزلوا تلك المنطقة وسكنوا فيها بعد الطوفان، وقد رووا أن العرب مع مرّ الزمان قلبت السين شينا[2].

ولعل المتتبع لكتب التاريخ ومصادره سيكتشف أن هذه الرواية في سبب تسمية هذه المنطقة بالشام هي أكثر الروايات ذيوعا، وهي الأكثر دورانا على ألسنة العلماء والمؤرخين.

وفي الناحية الأخرى وبالمقابل نجد أن بعضا ممن حاولوا إيجاد سبب لهذه التسمية شطحوا بعيدا فخرجوا في تفسيراتهم وآرائهم عن الثقافة العربية ولغتها، فعدلوا عنهما إلى غيرهما فتوكأوا في ذلك على ثقافات أخرى ولغات مغايرة، منها اللغة الكنعانية أو اللغة السريانية، فخلصوا – بناء عليهما – إلى أنه لسبب التسمية علاقة بالطقس أو المناخ فذكروا أن هذه التسمية معزوة إلى النسيم الشمالي البارد خلافا لليمن المشتهرة بالجو الحار.

والأمر ذاته تكرر معهم - أي مع العلماء والمؤرخين هنا - حيث وجدوا في اللغات القديمة، من مثل اللغة الآرامية واللغة الأكادية أن لفظة " شام " تدل على الأرض المعمورة أو التي ذات كثافة سكانية كبيرة فهي عامرة فهي عندهم تسمى شام ولعل هذا هو الأصل في تسمية الشام بالشام!

وبين هذا وذاك فإن لفظة الشام أصبحت في العصور الإسلامية المتتابعة تطلق على تلك الرقعة من الأرض الواسعة الشاسعة تشمل في أيامنا هذه لبنان والأردن وسوريا وفلسطين، وكذلك بعضا من إجزاء جنوب تركيا؛ والحقيقة التي لا مراء فيها أن هذه الرقعة الجغرافية حملت معنى خضاريا وصارت صاحبة إرثا تاريخيا أكبر بكثير من مجرد اسم يذكر فتختلف الروايات حول ميلاده!

وعلى أية حال فيمكن القول بأن بلاد الشام تعدُّ وحدة واحدة تاريخيا وجغرافيا امتدت جذورها عبر الزمن السحيق والعصور المختلفة، فضمت – كما أشرنا آنفا على المشهور - كلّا من سوريا، وفلسطين، ولبنان، والأردن، وبعض من تركيا على الحدود الجنوبية منها، من مثل لواء إسكندريون، وغيره، ومنهم من ضمَّ في روايته في بعض الأحيان إليها تبوك وشمال الحجاز وشمال سيناء.

أما عن الحدود الجغرافية فحددت تقليديا على النحو الآتي:

تمتد حدودها شمالا إلى جبال طوروس وجبال الأما نوس التي تقع جنوب الأناضول، بحيث تفصلها هذه الجبال عن آسيا الصغرى[3].

ومن الجنوب تمتد حدود الشام الجغرافية إلى الحجاز محاذاة منطقة تبوك ووادي عربة، حتى تصل إلى نواحي شبه جزيرة سيناء[4].

---

[1] - ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة: (شام).
[2] - ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة: (شام).
[3] - معجم البلدان لياقوت الحموي 265/3.
[4] - تاريخ الأمم والملوك للطبري 537/3.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وشرقا تمتد إلى بادية الشام وصولًا إلى نهر الفرات الأوسط لتتداخل مع مناحي العراق من جهة الغرب[1].
أما من جهة الغرب يحدها البحر الأبيض المتوسط التي يضفي على الشام أهمية استراتيجية مما جعلها منطقة تجارية هامة قديما وحديثا[2].
ولعل حديثنا عن التقسيمات الجغرافية هنا يجرنا بالمقابل إلى أن نعرج على التقسيمات الإدارية خلال جغرافية منطقة الشام التي اتضحت معالمها أعلاه والتي صارت فيما بعد جغرافية إسلامية خالصة بعد الفتح الإسلامي لها، حيث جاء التقسيم الإداري لمنطقة الشام حسبما أرتأه المسلمون من أهل الجغرافيا موزعا على خمسة أقاليم رئيسية[3] سُمّيت آن ذاك بالأجناد، وهي على النحو الآتي: جند دمشق، وجند حمص، وجند فلسطين، وجند قنسرين، وجند الأردن.
أما فيما يخصُّ الواقع السكاني فكانت الشام آنذاك تشهد تنوعا سكانيا بحيث جمعت أصنافا متعددة من البشر وأعراقا مختلفة، من مثل العرب والسريان والغساسنة والمرتزقة؛ وكذلك الفرس الذين كانوا يسكنون بعلبك وحمص وإنطاكيا حيث كانوا يقطنون هذه المدن قبل قدوم معاوية إليها ولا أدل على ذلك ما قيل من أنه " نقل معاوية قوما من فرس بعلبك وحمص وأنطاكيا إلى سواحل الأردن ... سنة اثنين وأربعين "[4]، والروم والآراميين؛ وكذلك اليهود الذين كانوا يسكنون قياسرية وحمص وغيرها، وكان يسكن قياسرية أجناس أخرى، منهم: السامرة وجموع من المرتزقة ويدلنا على ذلك أنه عندما حاصر معاوية قياسرية طويلا ولم تستسلم فيأس من تحقيق هدفه بفتحها، " وكان عمرو ابن العاص وابنه حاصراها ففتحها معاوية قسرا، فوجد فيها من المرتزقة سبع مئة ألف، ومن السامرة ثلاثين ألفا، ومن اليهود مئتي ألف "[5].والواقع يقول بأن بلاد الشام آوت أجناسا كثيرة جدا من البشر لا حصر لها، والأقاويل في ذلك عديدة، منها ذكرهم بأن لبنان تعددت فيه الألسن وتنوعت حتى بلغت السبعين لسانا، فقيل: " أن في هذا الجبل سبعين لسانا لا يعرف كل قومٍ لسان الآخرين إلا بترجمان "[6].
وقد تركز التجمع السكاني من العرب في جنوب بادية الشام، ومن الجدير بالذكر هنا أن الوجود العربي في الشام راوح بين الاستقرار وشبهه من ذلك بعض القبائل العربية مثل: تغلب ولخم وثعلب وتنوخ[7].
أما عن الرقعة من الأرض التي شغلها العرب في الشام، فالواقع أن العرب قبيل الفتح الإسلامي قطنوا أرجاءً من بلاد الشام كافة، فعند تتبع خارطة السكان من العرب داخل بلاد الشام فسنجد أن عددا لا بأس به من قبائل العرب سكن بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي، حيث كانت قبيلة طي تسكن قنسرين في شمال الشام، ويروى أن حاضر قنسرين كان موضعا لتنوخ حيث يدلنا قول أحدهم بأن " حاضر قنسرين لتنوخ منذ أول ما تنخوا بالشام نزلوا وهم في خيم الشعر ابتنوا به المنازل، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم؛ وقال عبد الرحمن بن غنم عن قنسرين كانت حاضر طيء قديما نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم "[8]، كما أن ديار قضاعة وبكر ومضر عمرت الجزيرة[9]، وقيل أن " ديار ربيعة ضمت عدة كور منها: نصيبين وقرقيسيا وغيرها من مدن الجزيرة "[10].
وقد ذكر بعض المؤرخين أن قوما من العرب من جملة القبائل العربية قد أناخوا في حاضر مدينة حلب ممّن عقدوا مصالحة مع أبي عبيدة على الجزية، ثم بعد ذلك اعتنقوا الإسلام فأسلموا[11]، ويروى أنَّه " انتهت طليعة عياض إلى الرقة فأغاروا على أولئك فدخلوا مدينة الرقة "[12]، لعل في هذا الحديث ما يشئ بوجود العرب في هذه البقعة من بقاع الشام.

---

[1] - العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون 129/4.
[2] - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي 203/1.
[3] - ينظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ص166-170.
[4] - فتوح البلدان للبلاذري، ص139.
[5] - المصدر نفسه، ص167.
[6] - معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة: (لبنان).
[7] - ينظر الكامل في التاريخ لابن الأثير 187/2، وبلاد الشام في صدر الإسلام ليوسف الصباغ، ص32.
[8] - فتوح البلدان للبلاذري، ص205.
[9] - ينظر المصدر نفسه معجم ما استعجم للبكري 569/2.
[10] - المصدر نفسه 568/2.
[11] - ينظر فتوح البلدان للبلاذري، ص173.
[12] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن بلاد الشام قبيل الفتح الإسلامي كانت ترزح تحت السيطرة البيزنطية[1] وهي آن ذاك ما هي إلا مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية البيزنطية؛ تضم عدة ولايات يحكمها حكام محليين تبُّع لبلاط الإمبراطورية البيزنطية يدرون شؤونها.

ساد التوتر بين المحتلين البيزنطيين والسكان المحليين من أهل البلاد نتيجة للاضطهاد والظلم والفساد المستشري في البلاد على جميع الصعد الاجتماعية منها والاقتصادية، ولا سيما الاضطهاد الديني تمارسه الكنيسة البيزنطية وذلك بإشعال نار الفتنة بين الطوائف الدينية والتمييز ضدها، الأمر الذي أدى إلى نشوء خلافات مذهبية وخلق طبقات دينية أدت إلى تصدعات داخل المجتمع آنذاك، فتعددت الطبقات التي نشأت عن خلفية دينية استأثرت بالسلطة واحتكرت ثروات البلاد؛ لذا أصبح المجتمع الشامي كافة ضحية لهذا الظلم والفساد والتجبر لا سيما أولئك الذين يمتهنون حرفة الزراعة الذين تم استغلالهم وفرض ضرائب زراعية باهضة عليهم، ولم يعانِ من هذه الضرائب والإتاوات هؤلاء فقط، بل كل شرائح المجتمع الشامي كانت مستهدفة من قبل الغزاة بجمع الأموال وإثقال كواهلهم بالضرائب وغيرها من مثل الجزية الدينية[2].

فالواقع أن تردي الأحوال المعيشية – كما رأينا - في جميع المناحي أدى بالضرورة إلى اضطرابات ونزاعات أفضت بدورها إلى إضعاف البلاد وتشظيها، أضف إلى ذلك ما تشهده منطقة الشام من اضطرابات وقلاقل جراء الحرب الطاحنة المستعرة بين الفرس والبيزنطيين (602-628) ولم يتوقف الأثر السلبي لهذه الظروف المتردية التي تعيشها بلاد الشام عن السكان فحسب، بل أدى إلى ترديها عند الإمبراطورية ذاتها بأن أضعفها وأرهقها فلم تعد ذات قوة ضاربة في المنطقة كما كانت.

كل هذا مجتمعا جعل الناس تتململ باحثة عن منقذ يخلصها مما تعاني؛ الأمر الذي سهَّل اقتحام تلك المنطقة من أي قوة خارجية بسبب تلك العوامل التي اجتمعت مع بعضها وتم ذكرها أعلاه أسهمت هذه في تسهيل السيطرة على تلك البلاد.

ونظرا لما تعانيه المنطقة من مرارات وعذابات جراء الظلم والتمييز العرقي والديني والطبقي مما أدى إلى وجود معضلات في جميع مناحي الحياة الدينية منها والاقتصادية والسياسية.

فعندما قدم المسلمون[3] فاتحين لهذه البلاد لاقوا ترحيبا كبيرا في كثير من المدن والمواضع من هذه البلاد؛ بسبب أمرين الأول تمثل في تلك الويلات التي كان الناس يقاسونها في مناحي حياتهم بشكل عام، والثاني أن الحكم الإسلامي ترك لهم هامشا من الحرية الدينية وعدالة ضريبية مقابل الجزية. وغيرها من الحقوق التي صار أهل الشام ينعمون بها بعدما حرموا منها طويلا، مما جعلهم منفتحين على الحكم الإسلامي الذي شعروا تحت رايته بالعدل والإنصاف.

ولعل هذا وطَّد أقدام المسلمين في هذه المنطقة وكان سببا في تسريع إحكام سيطرتهم، وبهذا انطلقت حقبة جديدة لم يعهدها الشاميون من ذي قبل تحت راية الدولة الإسلامية الي اتسمت بالاستيطان العربي لبلاد الشام التي فتحها المسلمون بأسلوب يمكن القول عنه بأنه تدريجي بدأ بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح سنة 13 هجرية/ 634 ميلادية وانتهي بإحكام سيطرة المسلمين على دمشق سنة 14 هجرية وعلى القدس سنة 16 هجرية[4] التي عندها أحكم المسلمون سيطرتهم على معظم مناطق بلاد الشام ولم يبق سوى بعض الثغور التي فتحها الفاتحون بعد فترة وجيزة وبذلك أصبحت الشام بأكملها تحت سيطرة الحكم الإسلامي، وبذا طُويت صفحات أحداث الصراع الدامي لفتح بلاد الشام الذي انطلق في عهد خلافة الخليفة أبي بكر الصديق ثم عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنها وأرضاهما - ثم تولى أمر الشام معاوية بن أبي سفيان عندما تقلَّد أمر الخلافة بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ولعله يمكن القول بأن الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام مثلت مرحلة محورية وحدثا مفصليا أسهم بشكل رئيس وواضح في تمحور شكل العالم العربي والإسلامي وتغير خارطته التي رسمتها انتصارات المسلمين العسكرية التي تبعتها ارتدادات كبيرة وتغيرات عديدة شملت جميع جوانب الحياة في المنطقة، السياسية منها والدينية والثقافية والاقتصادية والديموغرافية بسبب تلك الحركة السكانية الهائلة التي صاحبت الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

---

[1] - الإمبراطورية البيزنطية لباترك سيتون، ص89- 91.
[2] - ينظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم حسن، ص228.
[3] - ينظر تاريخ الرسل والملوك للطبري 454/2.
[4] - ينظر فتوح البلدان للبلاذري، ص142.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

فمنذ بداية الفتوحات بدأ العرب المسلمون يزحفون نحو جميع مناطق الشام ومدنها وأريافها واستوطنوها، حيث أشرف قُوَّاد الجيش بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وكذلك معاوية بن أبي سفيان على توزيع قطعٍ من الأرض للجند المرابطين في الثغور وغيرهم من أفراد الجيش والقبائل[1].

والواقع أن حركة سكانية ضخمة واكبت الفتح الإسلامي لبلاد الشام أثرت بشكل مباشر في إعادة التموضع السكاني في المنطقة، ساعدت على نموه سريعا عوامل كثيرة تضافرت لتجعل من هذا الاستيطان حدثا غيَّر شكل واقع المنطقة برمته، فمن تلك العوامل على سبيل المثل لا الحصر: ما قامت به قيادة الفتح من منح أراضٍ زراعية للعسكر العرب قادةً وجنودًا تقديرا لهم لما قدموه من جهود كبيرة وتضحيات في سبيل فتح تلك الأمصار وضمها للدولة الإسلامية. وفي هذا ما يعد إضافة جديدة للمنطقة لها أثرها الإيجابي البالغ[2]؛ ولم يقف الحال عند هذا الحد فحسب، بل تطور إلى أن وصل مرحلة التوطين الناجم عن الترحيل المنظم الذي تبنته السلطات العسكرية والقيادات القبلية التي قامت بنقل عددا لا بأس به من العسكر، وغيرهم لتأمين الحدود وفرض السيطرة[3].

كما أنَّ اختلاط المسلمين من العرب بالسكان الأصليين، من مثل الآراميين والسريان وغيرهم، وتمازجهم معهم عن طريق التزاوج الأمر الذي أسهم في إضافة أسر وعوائل محلية ضُمت إلى الوجود العربي وبنيته ذات الدماء الجديدة في الشام[4].

كما أنَّه يبقى للنظام الاقتصادي الذي فرضته السلطة الفضل الأكبر في توطيد أقدام المستوطنين من العرب بحيث تم تنظيم قواعد ولوائح مالية عادلة وليست مضنية بحيث لا تثقل كاهل الناس وافدين عربا أو سكانا أصليين، لا سيما تلك التي تخص نظام الجزية والخراج، وغيرها من النظم الاقتصادية الإسلامية[5].

أما فيما يخصُّ أنواع الاستيطان العربي لبلاد الشام إبان الفتح الإسلامي، فقد تعددت صوره وأشكاله ولعلنا هنا نعرض لبعضها، من مثل الاستيطان العسكري، والاستيطان المدني أو الحضري، وكذلك الاستيطان البدوي أو القبلي.

فواقع الأمر أن العرب المسلمين قد دخلوا بلاد الشام بجيوش مجحفلة تضم جنودا مقاتلين بآلاف وقادة محنكين أسسوا المقرات العسكرية الدائمة منها والمؤقتة بالقرب من مصادر المياه والطرق الرئيسية في دمشق وحمص، وفلسطين والأردن، لعبت هذه التجمعات العسكرية دورا مهما في فرض الرقابة على المواقع الاستراتيجية من مثل الطرق الرئيسية والموارد المائية، وتأمين خطوط الإمداد وفرض هيبة الدولة.

لقد أسست هذه المقرات والمواقع العسكرية الدائمة منها والموقتة – كما أوضحت سلفا – لتكون فيما بعد أساسا لتجمعات سكانية تُعدُّ نواةً لواقع سكاني غير شكل المنطقة بأسرها إلى يومنا هذا[6].

توافد المستوطنون العرب على بلاد الشام، لا سيما المدن الحضرية الكبرى منها، من مثل: دمشق، وحلب، وحمص، والقدس، حيث اختلط العرب الوافدون الذين منهم الحرفيون والتجار، وغيرهم بسكان هذه المدن الأصليين، من سريانيين ويونانيين وأرمن ويهود، الذين تفاعلوا معهم واختلطوا بهم وزاولوا أعمالهم بشتى المناحي فشغلوا بعض المناصب الإدارية منها والتجارية وغيرها، وشيئا فشيئا بدأ ظهور طبقة إدارية عربية جديدة، وبدأت حركة ثقافية كبرى غرضها تعريب الإدارة ولعل تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان سنة81هجرية/700ميلادية يُعدُّ أحد ثمارها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أدى إلى تغيُّر تدريجي في اللغة الرسمية المستخدمة في البلاد[7].

أما عن الاستيطان القبلي، فلقد استقرت مجاميع عربية من مختلف القبائل العربية في مناطق ريفية خصبة قابلة للزراعة والرعي، من مثل: قبيلة قريش التي استقرت في دمشق وريفها، وغطفان، وتغلب، وكنانة، وكذلك سكنت قبيلة قضاعة وقبيلة غسان شمال الأردن، وحوران.

---

[1] - تاريخ الرسل والملوك للطبري 401/3.
[2] - فتوح البلدان للبلاذري، ص142.
[3] - ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[4] - تاريخ فلسطين لغيل موشيه، ص55.
[5] - العراق بعد الفتح الإسلامي لموروني مايكل، ص187.
[6] - الفتوحات العربية الكبرى لكينيدي هيو، ص213.
[7] - تاريخ الرسل والملوك للطبري 123/5.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ولعلنا نقف هنا عند شيء من التوضيح يتمثل في قول أحد المؤرخين لنطَّلع على معظم تلك القبائل التي نزلت الشام واستوطنتها، فبالنظر في جند جيوش المسلمين نجد أنهم كانوا من كافة القبائل العربية التي أسهم أبناؤها في الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

والواقع فإن جيش المسلمين الذي وجهه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – كان يضم المهاجرين والأنصار، وقبائل من نجد والحجاز واليمن وعمان، فقبائل العرب كانت ممثلة في جميع قطاعات الجيش الإسلامي الذي أسندت له مهمة فتح بلاد الشام ويدلنا على ذلك قولهم عند الحديث عن معركة صفين في وصف توزيع الإمام علي – عليه السلام -: " فإن عليّ جعل يدور على رايات أهل الشام فيقول: من هؤلاء؟ فيسمون له، حتى إذا عرفهم، وعرف مراكزهم قال لإزد الكوفة: أكفوني إزد الشام، وقال لخثعم: أكفوني خثعم، فأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام "[1]. وليس هذا فحسب، بل هناك بعض من القبائل العربية الأخرى التي تقاتل في صف معاوية من أهل الشام من مثل قيس وقضاعة وكندة وحمير وحمدان وغسان ولخم " استعمل معاوية على قيس دمشق همام بن قبيصة، وعلى قيس حمص هلال بن هبيرة، وعلى قضاعة دمشق حسَّان بن يجدل، وعلى قضاعة حمص عباد بن زيد، وعلى كندة دمشق عبد الله بن جون السكسكي، وعلى كندة حمص يزيد بن هبيرة، وعلى حمير هانئ بن عمير، وعلى قضاعة الأردن مخارق بن الحارث، وعلى لخم فلسطين نابل بن قيس، وعلى همدان الأردن حمزة بن مالك، وعلى غسان الأردن زيد بن الحارث "[2]. أما عن قادة الجيش "... استعمل على أهل دمشق الضحاك بن قيس وعلى أهل حمص ذا الكلاع، وعلى أهل قنسرين زفر بن الحارث، وعلى أهل الأردن سفيان بن عمرو، وعلى أهل فلسطين مسلمة بن خالد "[3].

ومن هنا يمكننا القول بأن كثيرا من الجند الذين يقاتلون في صفوف جيش معاوية من الأنصار والمهاجرين، وأولئك الذين قدموا من الجزيرة العربية ينسبون إلى مدنهم التي قدموا منها، ولا ينسبون إلى قبائل بعينها؛ لأنهم كانوا يقطنون تلك الأمصار فرادى وليس بمعية قبائلهم.

في بادئ الأمر سلكت هذه المجموعات حياة البدو الشبه رُحَّل، ثم تحولت بشكل تدريجي إلى حياة مستقرة يحترف أهلها حرفة الزراعة المستدامة، واتخذت لها مساكن تكاد تكون مقرا دائما لها في هذه المناطق، بالأخص حول مواطن الماء من مثل الواحات والمراعي الخصبة.

ولعل هذا الاستقرار النسبي والاستيطان المنظم كفل فيما بعد الأمن والسلام والازدهار لسلطة الدولة الأموية والقائمين عليها، كما خلق لها قاعدة اجتماعية عريضة في قابل الأيام[4].

وتعليقا عما سبق يمكن القول بأن منطقة الشام قاطبة قد تأثرت أيُّما تأثر بالاستيطان العربي لها، ولعله من صائب القول، ذلك القول الذي يشار فيه إلى ذلك التغيُّر في التوازن في القوى السكانية الذي أحدثه الاستيطان العربي للشام، فقد أُلغيت الهوة التي كانت ماثلة بين العرب المستوطنين، وسكان المنطقة الأصليين.

فأدى ذلك إلى تحول كبير وسريع في كافة مناحي الحياة، وفي جميع أنحاء الشام لا سيما مدينة دمشق، وحلب، وحمص، وغيرها.

فمن نتائج ذلك الاستيطان الحضور المطلق للغة العربية في الدواوين، والجهاز الإداري.

كما أدى دخول العرب إلى المنطقة إلى تغيُّر أنماط الإنتاج وملكية الأراضي، وغيرها وهذا من شأنه توسع الأراضي الزراعية والزيادة في المحاصيل، وازدهار الزراعة ازدهارا كبيرا.

وعن الصعيد الاجتماعي ظهرت طبقات اجتماعية جديدة من المُلَّاك، وبروز طبقة عربية موازية للطبقات السائدة في المجتمع قبل الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

وبالعموم فإنَّ الاستيطان السكاني العربي للشام تميز بتعدد المراحل فمن الاستقرار العسكري المؤقت إلى البناء والازدهار الحضاري التام الذي أسهم بشكل واضح في تشكل الهوية الشامية ذات الطابع العربي الإسلامي.

---

[1] - الأخبار الطوال للدينوري، ص181.
[2] - الأخبار الطوال. للدينوري، ص172.
[3] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[4] - الفتوحات الإسلامية المبكرة لدونرفريدم، ص256.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

كما أدى هذا التحول الديموغرافي إلى تعزيز هيمنة اللغة العربية واعتبارها اللغة الرسمية للدولة الإسلامية، وبذلك قاد العرب المسلمون المنطقة بأسرها إلى التقدم والازدهار في كل مناحي الحياة، فعمها العدل والأمن والسلام.

المطلب الثاني: تعدد الثقافات السائدة في الشام قبيل الفتح الإسلامي وموقف المسلمين منها بعد الفتوحات

بادئ ذي بدء لا بد من الوقوف عند الواقع الثقافي الشامي قبيل الفتح ووصولا إلى ما بعد الفتح وكيف كان موقف العرب المسلمين الفاتحين منه، والأثر الذي خلفته هذه الثقافة بتنوعها في نشوء طفرة فكرية أدت إلى ظهور حركة علمية كانت لها الآثار البناءة البالغة في النهضة العلمية التي شهدتها بلاد الشام في كافة ميادين العلم وفروعه ومجالاته وفي جميع مناحي الحياة بعد الفتوحات الإسلامية.

بحكم موقعها الجغرافي الهام كانت بلاد الشام تعدُّ مركزا للحضارات في الشرق والغرب، مما جعلها ملتقى ثقافيا غنيا بالتنوع الاثني والديني[1] فالثقافات في بلاد الشام كانت متعددة ومتنوعة، ولعل السبب في هذا التعدد والتنوع هو تعدد الأجناس التي كانت تسكن بلاد الشام وتنوع أعراقها، حيث سكنت بلاد الشام شعوب عديدة متنوعة، من مثل: الرومان والآراميون والعرب الغساسنة والسريان والأرمن واليهود، وغيرهم، ثم تعدد الأديان الذي – حتما – له الأثر البالغ والطابع الواضح في تشكل الثقافات ونشوئها وتعددها، فمن الديانات السائدة في ذلك الوقت في بلاد الشام النصرانية التي يشكل الذين يدينون بها الغالبية بمختلف المذاهب المسيحية النسطوريون والملكيون واليعاقبة، وكذلك اليهودية والصابئة وعبدة الأوثان[2]، وبما أن بعضا من الفرس كانوا يشكلون جزءا من سكان البلاد فلا بد من أن تكون دياناتهم حاضرة بالمنطقة؛ فلذا ليس بالغريب من أن نجد الديانة المزدكية والديانة المانوية اللتين كان الفرس يدينون بهما قبل الإسلام الأمر الذي يفسر وجود بعضٍ من المذاهب الدينية الفارسية في بلاد الشام، وبتنوع الأعراق وتعدد الأديان كان الأثر بالغا على نمط الحياة الثقافية حتى بعد الفتح الإسلامي، لعله من الأجدى أن نعرض لبعض ما قدمته تلك الطوائف من خدمة للثقافة الشامية وما أسداه ذلك التنوع الثقافي من ازدهار وتقدم للجانب الثقافي بصورة عامة.

فهذه الديانة النصرانية التي كان لها القسط الأكبر والحظ الأوفر في حجم ما لاقته الثقافة الشامية من تقدم وازدهار، ولعلنا نعزو ذلك إلى سيطرة المسيحيين على المنطقة الذين حكموا الشام لفترة طويلة قبل الفتح الإسلامي، وهذه الفترة اشتهرت بانتشار الثقافة المسيحية وانتشار الفكر الثقافي المسيحي، فقد تميزت تلك المنطقة منذ القرن الثالث الميلادي بانتشار المدارس اللاهوتية والفلسفية وكثرتها، من مثل مدرسة حران وانطاكية والقيصرية بفلسطين والرها ومدرسة بيروت، ومدرسة إدِسَّا وقنسرين حيث درَّست الفلسفة والطب والفلك، كما انتشرت اللغة اليونانية في مراكز التعليم العليا إلى جانب اللغة السريانية التي كانت لغة الفكر والدين عند المسحيين الشرقيين[3]. قد قيل في شأن هذه المدارس وما تقدمه من علوم وما تل

عبه من دور ثقافي هام الشيء الكثير، من ذلك ما قاله الأب سوير يوس توما عن مدرسة قيصرية فلسطين: " ... إنها فاقت مدرسة الإسكندرية في العلوم، تأسست سنة 230م بهمة العلامة أور يجانس الذي كان يدرس بها بالإضافة إلى اللاهوت والفلسفة علوم الطبيعة والمنطق والهندسة والطب والرياضة والفلك والموسيقى "[4]، كما تحدث في شأن مدرسة أنطاكية، فقال: " ... فقد كان في أنطاكية على الدوام مدرسة للعلوم الدينية وأخرى شهيرة للعلوم الفلسفية المالية "[5].

أما مدرسة حران فينسب إليها الباطنية، وذاعت شهرتها بجهود الصابئة الذين كانوا فيها. وقيل في نسبة الباطنية إلى الصابئة " ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران، واستدل بأن صابئة حران يكتمون ديانتهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم، والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم، بعد

[1] - ينظر تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين لفيليب حتي، ص112.
[2] - تعدد الثقافات في المشرق لجورج قرم، ص55.
[3] - ينظر تاريخ التمدن الإسلامي لجورج زيدان 102/1- 105.
[4] - تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية لكوما سوير يوس 148/1.
[5] - المصدر نفسه 158/1.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

إحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم "[1]. إلا أنه يذكر بأنهم كانوا يعبدون الأصنام، وبقوا على ذلك حتى بعد الفتح الإسلامي، " فخيرهم المأمون بين الإسلام أو أي دين آخر مباح وبين القتل فزعموا أنهم من الصابئة، وبهذه الحيلة أنقذوا أنفسهم من الهلاك "[2].

وقد تحدث العلماء والفلاسفة عن مدرسة بيروت وقيل في شأنها الشيء الكثير، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد ذكر الأستاذ فيليب حتى في كتابه " تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين " مدرسة بيروت وأثنى عليها وعلى جهود العلماء من خلالها.

وتحدث الأب سوير يوس توما عن مدرسة بيروت، فقال: " ... وقد كان في بيروت كلية فقهية رومانية في القرن الثالث الميلادي ... قال القديس غريغوريوس 270م أن مدرسة بيروت جامعة كل دساتير الشرائع الرومانية "[3].

ولعل أهم المراكز العلمية في بلاد الشام آن ذاك مدينة دمشق التي تحولت في العهد الأموي إلى مركز سياسي وعلمي متعدد الثقافات، فأصبحت مدينة دمشق بعد الفتح عاصمة الدولة الأموية[4]، وصارت تستقطب العلماء والمفكرين من أنحاء المعمورة ومن مختلف الخلفيات الثقافية، فأنشِئت العديد من المدارس لتشكل في مدينة دمشق مركزا علميا مرموقا أصبح فيما بعد نواة لمدارس علمية جمعت بين العلماء المسلمين ونظرائهم من أهل الذمة.، كما أسهم الجامع الأموي بوضوح في نشر العلوم الشرعية واللغوية، وشهدت مدينة دمشق حينها نشاطا علميا ونتاجا ثقافيا في كافة المجالات، من مثل الفقه والتاريخ والتفسير والفلسفة والطب والفلك وغيرها من العلوم[5].

أضف إلى المركز العلمي في مدينة دمشق تلك المراكز العلمية التي آلت على نفسها نشر العلم وتطوير الفكر الإنساني في جميع مناحيه، وقد دعمها المسلمون الفاتحون وحافظوا عليها وساعدوا على ازدياد نشاطها، ولقد كان المسلمون متسامحين ثقافيا ودينيا، حتى أنهم مكنوا أهل الذمة من الاحتفاظ بثقافاتهم الدينية وغيرها، وأبقوا على لغاتهم ومدارسهم الدينية حيث استمرت المدارس المسيحية والسريانية مشرعة الأبواب أمام مريديها من أهل الذمة بفضل كرم المسلمين وتسامحهم الذي تفرضه عليهم شريعتهم الإسلامية السمحاء، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل دأب المسلمون على نقل العلوم من هذه المدارس بشكل تدريجي إلى العربية[6]، كما استفادوا كثيرا من نتاجها العلمي في مختلف فروعه، لا سيما علم الطب والفلك، وغيرها، فقد كان الخلفاء الأمويون يستدعون الفلكيين والأطباء من الروم ومن السريان إلى بلاط دمشق للعمل كمعلين أو مترجمين، من مثل أيو سطا ثيوس وسر جيوس الرهاوي، وغيرهم[7]، ومن مثل تلك المراكز العلمية الثقافية مركز أنطاكيا والرها ونصيبين[8].

مظاهر التعدد الثقافي وأثره في ازدهار العلوم في الشام:

- **الترجمة:** كانت الترجمة من أهم مظاهر التعدد الثقافي في بلاد الشام، التي أسهمت في نقل العلوم والثقافات المختلفة والمتنوعة في تلك المنطقة لأسباب ذكرت آنفا في حنايا هذا البحث، فكانت اللغة السريانية هي اللغة السائدة في ديار الشام حتى الفتح الإسلامي، واستمرت لغة الترجمة من اليونانية وإليها، ثم إلى العربية، وشكَّل هذا باكورة انطلاق حركة علمية رائدة رسمت فيما بعد معالم ثقافة متنوعة أسست لحراك علمي مهم جدا في بلاد الشام، وبفضل الترجمة انتقلت علوم شتَّى إلى العربية، من مثل علم الطب والمنطق والفلك والفلسفة، ولقد كان للمترجمين السريان الدور الكبير والفعال في هذا الشأن، ومن أبرز سر جيوس الرهاوي، وحسين بن إسحاق الذي قيل في حقه أنه كان " ... يتقن السريانية

[1] - الفرق بين الفرق للبغدادي، ص294.
[2] - دائرة المعارف الإسلامية 355/7.
[3] - تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية لتوما سوير يوس 157/1.
[4] - ينظر مقدمة ابن خلدون، ص425- 430.
[5] - ينظر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية 357/1.
[6] - ينظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري للمستشرق آدم متز 21/1- 31.
[7] - مقدمة في علم المخطوط العربي ليوسف زيدان، ص101.
[8] - ينظر التنوع الثقافي في بلاد الشام وأثره في النهضة العلمية الإسلامية لعبد العزيز الدعيشم (مجلة دراسات تاريخية) العدد 12، ص75.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

والعربية واليونانية، وله ترجمات ممتازة في الطب والفلسفة[1]. وغيرهم ممن قدموا الكثير في مجال ترجمة العلوم من وإلى مختلف اللغات السائدة في بلاد الشام آنذاك[2].

- **تعدد اللغات:** لقد تعددت اللغات المستعملة في بلاد الشام، حيث اختلفت ألسنة القوم في تلك الديار في تلك الآونة، فمن تلك اللغات العربية الآرامية والسريانية واليونانية، وغيرها. فتعايشت تلك اللغات، لا سيما العربية والسريانية ، ساعد ذلك التعايش والانسجام إلى استفادة اللغة العربية منه في تطوير علم النحو لضبط اللغة العربية وحمايتها من اللحن حسب رأي بعضهم الذي يرى أن النحو العربي كان متأثرا كثيرا بالنحو السرياني الأمر الذي يدحظه غيرهم ويرده، وعلى كل حال فإن المسألة خلافية تعددت فيها الآراء وكثر فيها الأخذ والرد من قبل المتخصصين[3]؛ وتداخلت فيما بينها وتلاقحت عن طريق ظواهر لغوية من مثل الاقتراض، والتبادل فيما بينها في الألفاظ والمفردات، مما شجَّع الاحتياج إلى الترجمة ومن ثَمَّ أدى ذلك إلى تطور علوم اللغة والمعاجم، وإلى خلق بيئة خصبة للتفاعل المعرفي، شجعت العلماء على مقارنة النصوص، وتطوير مناهج تحليلية جديدة[4].

العلوم التي تأثرت بتعدد الثقافات في الشام:

لقد كان للتعدد الثقافي في بلاد الشام الأثر البالغ والإيجابي في جل العلوم، حيث أفادت منه كثيرا بحيث أسهم تعدد الثقافات بشكل واضح في تطور العلوم وازدهارها، ومن العلوم التي تأثرت أيُما تأثر بهذا التعدد في الثقافات، نذكر ما يأتي:

- **الطب والصيدلة**: حيث انتقلت العلوم الطبية والصيدلية من المدارس البيزنطية والسريانية، عن طريق الترجمة حيث نُقلت كتب جالينوس وأبقراط البيزنطية والسريانية إلى العربية، وأسهم علماء سريان في تعليم المسلمين فنون الطب، الأمر الذي سهَّل على المسلمين تأسيس مدارس طبية إسلامية متقدمة في ذلك الوقت[5]، كما أُنشئت على غرار تلك الجهود ما يسمى (بالبيمارستانات) في دمشق، على النمط البيزنطي[6].
- **الفلسفة والمنطق**: التعدد الثقافي أدى إلى انفتاح المسلمين على الفلسفة اليونانية وكان واضح الأثر في الفكر الإسلامي لا سيما بعد اتصال المسلمين بالمدارس العلمية الثقافية، منها مدرسة أنطاكية ومدرسة الإسكندرية، حيث أسهم هذا التواصل في تحديد نمط التفكير الفلسفي الإسلامي، ولعل من مظاهر أثر هذا التعدد ذلك التأثر الواضح في علوم الكلام لدى المسلمين بالميراث الفلسفي اليوناني خصوصا عند المعتزلة، لا سيما عند استخدامهم المنطق الأرسطي في الدفاع عن العقيدة[7]، وقد كان الفكر الفلسفي لدى أفلاطون وأرسطو معروفا في الشام منذ القرن الثاني الميلادي، ويذكر أن " يوسط ينس من مدينة نابلس ولد سنة 101 ميلادية، وقد أخذ بفلسفة أفلاطون "[8].

ولعله من المفيد هنا أن نعرض لبعض أمثلة تأثر بعض المفكرين من المسلمين من علماء الكلام بالفكر الفلسفي السائد في بلاد الشام، وقد يتضح ذلك بذكر بعض القضايا الفلسفية التي كانت نتاجا للفكر الفلسفي عند الأمم التي كانت تشغل الجغرافية الشامية آن ذاك وقد أثرت على بعض علماء المسلمين بعد ذلك، فقد ذُكر أن المعرفة الفطرية التي تحدث بها غيلان وكيف أنها مأخوذة من آراء أباء الكنيسة الأوائل أمثال جوستين 100- 165م وهو راهب سوري، وكذلك أوريجن 185- 254م فقد كتب أوريجن إلى سانت بول، يقول: " إن الوثنيين الذين لم يرسل إليهم رسول من الله لديهم ديانة فطرية، قانونها مطبوع في قلوبهم ... ولكنهم قاوموا وأنكروا معرفة الخالق الأعلى بالرغم من إثبات خلقه للطبيعة "[9]. ويضيف أوري جون في

---

[1] - الفهرست لابن النديم، ص278.
[2] - ينظر دور العرب في تكوين الفكر الأوربي لعبد الرحمن بدوي، ص21.
[3] - ينظر المدارس النحوية لخديجة الحديثي، ص19.
[4] - ينظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سالم النشار 89/1.
[5] - ينظر دور العرب في تكوين الفكر الأوربي لعبد الرحمن بدوي، ص44.
[6] - ينظر قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص37- 39.
[7] - ينظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سالم النشار 120/2.
[8] - تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية لدوما سوير يوس 106/1.
[9] - علم الكلام الإسلامي (علم اللاهوت) لسيل موريس، ص19.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

هذا الخضم: " أنني كمحب للحقيقة أُشير إلى حكماء اليونان ذوي الآراء السديدة؛ فمع أنهم عرفوا الله، إلا أنهم لم يعظموه أو يشكروه كإله "[1].

ولعله من الصائب أن نضيف من تلك الثقافات التي سبقت المسلمين ووجدوها أمامهم سائدة في بلاد الشام قبل مجيء الإسلام وكانت موطنا للنقاش والجدل مسألة القضاء والقدر، حيث كانت هذه المسألة موضع اهتمام لدى كثير من الأمم منذ القدم، فمثلا " أن القضاء والقدر كان معروفا عند السريان قبل الفتح الإسلامي، ومنذ القرن الثاني للميلاد "[2]. وكذا الأمر لدى مدرسة أنطاكية، حيث يرى مفكروها أن " الإنسان يفعل الخير أو الشر بإرادته وحريته المطلقة، سوف يُثاب أو يُعاقب تبعًا لأعماله، وهذا الثواب أو العقاب أبديان، ولما تشدق كربو كرانس وابنه أبي فانس زاعمين بأن كل شيء من الله، وحين زعم مرقيون أن في المادة شرا طبيعيا خلقه الله، وأدعى بسيلديس وكربو كرانس أن لا حساب للإنسان مهما فعل، وصرح أور يجانس بنهاية العذاب وشمول العفو في الأخرة للخطاة حتى الشيطان: حرمتهم بيعة الله "[3].

ومن ذلك وردت عندهم مسألة نفي صفات الله، وهي التوحيد عند المعتزلة، حيث جاء في أقوال أحدهم " إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: لا تتصور أن الله سبحانه ينزل أو يصعد في أي مكان؛ لأن الرب لا يأتي إلى أي مكان ولا يمشي ولا ينام، ولا يستيقظ، بل يبقى في مكانه ... وليس له عيون ولا آذان ولا يمكن وصفه، يرى كل شيء، ولا ينجو أحد من مراقبته "[4].

ومن المسائل التي يدعى بعضهم أن علماء الكلام المسلمين أخذوها عن أقوال علماء اللاهوت النصارى في خلق كلمة الله سبحانه وتعالى وهو (المسيح)، ويرون أن هذه الفكرة فكرة مسيحية في الأصل قبل أن نجدها عند الجعد بن درهم، وجهم بن صفوان، والمعتزلة، فقال هؤلاء معلقين عن هذا القول: " إن ذلك يشبه قول المسيحيين الذين أدعوا أن عيسى بن مريم | عليهما السلام | لم يكن مخلوقا؛ لأنه كان كلمة الله "[5].

ولعله في هذا إشارة إلى آراء من يخالفون المعتزلة الذين يقولون بأن القرآن غير مخلوق، أنه كلام الله سبحانه وتعالى، كما أن ذلك يعد مقابلة منهم لرأي المسيحيين الذين يرون أن المسيح بن مريم | عليهما السلام| غير مخلوق وإنما هو كلمة الله، ولعلنا نستشف من ذلك بأن هذين الرأيين قديمين، وقد علّق أحدهم عن ومسألة خلق القرآن ورأى بأنها مستوحاة من الكنيسة اليونانية، ومن اللاهوتيين المسيحيين، قائلا: " إننا لا نجد صعوبةً في أن نتبين أن هذه الفكرة مأخوذة من اللاهوتيين المسيحيين والكنيسة اليونانية، ربما عن طريق يوحنا الدمشقي الذي لعب دورا مهما "[6].

هذه لمحة سريعة عن الأثر الثقافي النصراني في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي وبعده، واتضح لدينا كيف تناول علماء الكلام بعض المسائل وناقشوها وحدث جدل بينهم، وهي في الأصل كانت قد أُثيرت قبل مجيء الإسلام إلا أنهم تأثروا بها وكان تأثرهم بها واضحا جليا وكان لهذه المسائل الدور الكبير في التوجيه الفكري لدى بعض علماء المسلمين!

كما لا يفوتنا أن بعض علماء العرب المسلمين تأثروا وأفادوا من باقي الثقافات الموجودة قبلهم في بلاد الشام، من مثل اليهود والصابئة والمجوس، وغيرهم إلا ان ذلك التأثر كان أقل بكثير من ذلك التأثر بثقافة المسيحيين.

والواقع يقول بأن المسلمين عندما فتحوا بلاد الشام في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وجدوا ثقافات متعددة سعوا إلى الإفادة منها وتسامحوا معها[7]، وكذلك وجدوا ديانات متنوعة، ولغات مختلفة، ولقد كان لهذا التعدد والتنوع، والاختلاف الأهمية البالغة في خلق أساس فيما بعد لازدهار الحياة العلمية، وخلق تحول ثقافي حضاري وإثراء الحركة العلمية.

والجدير بالذكر أن قدوم العرب المسلمين إلى بلاد الشام لم يكن على أنقاض الحضارات الموجودة قبله في منطقة الشام، بل كان ملتقى حضاريا شجَّع على نقل العلوم، وأسس لانطلاق نهضة علمية فكرية عمت

---

[1] - المصدر نفسه، ص19- 20.
[2] - علم الكلام الإسلامي (علم اللاهوت) لسيل موريس، ص37- 38.
[3] - تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية لدوما سوير يوس 310/1.
[4] - علم الكلام الإسلامي (علم اللاهوت) لسيل موريس، ص64- 65.
[5] - المصدر نفسه، ص68.
[6] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[7] - فتوح البلدان للبلاذري، ص136.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المنطقة كانت عنوانا لعصر إسلامي مزدهر ونهضة فكرية علمية في شتى الميادين، قوامها نقل العلوم من مختلف الثقافات السائدة في بلاد الشام آن ذاك، وكان ذلك بسبب نظام الترجمة الراقي الذي أعتمده المسلمون في هذه المهمة، قد أحرز المسلمون بهذا تقدما كبيرا في عديد المجالات العلمية، منها علم الفلك، وعلم الطب، وعلم الرياضيات ، وغيرها، كما ساعد التعدد الثقافي على نموء عقلية إسلامية تحليلية نقدية لدى علماء المسلمين، كما خلق هذا التعدد الذي يعدُّ محمودًا الظروف المواتية لتشكل هوية ثقافية علمية لدى العرب المسلمين امتدت جذورها عميقا بفضل ذاك التنوع في الثقافات. كما أن تلاقي هذه الحضارات المتعددة كان لزاما عليه نشوء حركة علمية في بلاد الشام ذات طابع خاص يختلف جذريا عن باقي الأمصار الإسلامية الأخرى.

المبحث الثاني: رواية الحديث الشريف لدى الشاميين خلال الفتح الإسلامي وتدوينه

المطلب الأول: رواية الحديث وطرق نقله

لم يكن الحديث الشريف مرادفا لمصطلح السنة في القرن الأول والثاني الهجريين، بل كانت السنة أعم في معناها عند العلماء من الحديث النبوي الشريف. فهي إضافة إلى أنها تشمل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم شملت أيضا أفعاله وإقراره، والأحكام المستنبطة منها؛ لذا كان الفقهاء يفرقون بين علماء الحديث وعلماء السنة حتى أنَّ بعضهم قال: " سفيان الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعا "[1].

وهذا دليل واضح يفيد بأن الفقهاء فرقوا بوضوح بين مصطلح الحديث ومصطلح السنة، وكذلك قال عبد الرحمن بن مهدي بالخصوص في موضع آخر: " كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، وإذا رأيت شاميا يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري، فهو صاحب سنة "[2].

ولقد اعتبر الفقهاء أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم جميعا – أيضا أحاديث شريفة تُحسب ضمن الحديث الشريف، فإن علم الحديث هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك ما ورد عن صحابته- رضي الله عنهم – من قول أو فعل[3]. إنما قرروا ذلك؛ لأن الصحابي قد يروي فعلا أو موقفا أو حادثةً وقعت من النبي صلاة الله وسلامه عليه، فنجد أن الفعل قد صدر عن الرسول، أما القول فهو للصحابي، وكثيرا ما يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه إلى أحد صحابته، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها قوله لأبي ذر الغفاري: " يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان "[4].

ومن ذلك ما رواه أبو عبد الله الصنايحي وقبيصة بن ذؤيب وهما شاميان – عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه " أنه سمع أبا بكر الصديق يقرأ في صلاة المغرب الركعة الثالثة، قوله تعالى: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ...)[5] فقال العلماء إن القنوت جائز في صلاة المغرب "[6].

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتهاونون فيما يخص رواية الأحاديث النبوية الشريفة عنه صلى الله عليه وسلم، فكانوا - رضوان الله عليهم جميعا – يتشدَّدون في الرواية ولا يروون حديثا سمعوه فقط مرة أو مرتين، ومن ذلك ما جاء عن أبي إمامة الباهلي الذي قال عندما سُئل عن حديث رواه إن كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاب بقوله : " لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا – حتى عدَّ سبعا – ما حدثتكموه "[7].

---

[1] - تاريخ دمشق (مخطوط) لابن عساكر 10/42-43.
[2] - كتاب الجرح والتعديل للرازي، ص284.
[3] - ينظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة: (حديث).
[4] - تاريخ الأمم والملوك الطبري 1/102.
[5] - سورة آل عمران آية (8).
[6] - الجامع لأحكام القرآن القرطبي 4/20.
[7] - صحيح الترمذي 11/127.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أما عن موقف الشاميين من رواية الحديث، فانقسموا على قسمين، القسم الأول منهما كان متشددا في رواية الحديث بلفظه، حيث " كانوا يتشدَّدون في رواية الحديث بحرفه، ومنهم رجاء بن حيوة "[1]، وكان التابعي الشامي أبو إمامة الباهلي يطلب من رواة الحديث أن ينقلوا الأحاديث التي سمعوها على أفضل وجه، لا سيما وهم يقول مشددا عليهم: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ ما أُرسل به إلينا، فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون "[2]. وهذا مكحول والزهري، يقولان مؤكدين على ذلك: " أمرُّوا الأحاديث كما جاءت "[3]؛ فهما من يريان وجوب نقل الحديث باللفظ والمعنى، وليس المعنى فقط.

أما القسم الثاني من الصحابة الشاميين، فلا غضاضة عندهم في الرواية بالمعنى فقط، ومن أُولئك الصحابي أبو الدرداء وهو من الصحابة الشاميين، حيث " كان إذا حدَّث بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " اللهم إن لا هذا فكشكله "[4].

ولعل المتتبع لرواة الحديث الشاميين وأحوالهم يدرك أن العلاقة بين الراوي للحديث منهم وعدد ما يرويه من أحاديث شريفة عكسية، فكلما كثرت الأحاديث التي يرويها كلما كان عرضةً للنقد والتشكيك، وكلما قلَّت كان ذلك بمثابة شهادة تجعله في مصاف الثقات العدول؛ لذا نلمس قلة واضحة في عدد الأحاديث المروية عن الصحابة الشاميين نسبة إلى غيرهم من الرواة في الأمصار الإسلامية، من مثل أولئك الرواة الذين سكنوا مكة، كابن عباس، أو بالمدينة المنورة، مثل أبي هريرة، وكابن مسعود بالكوفة، فقد أُحصيت الأحاديث التي رواها بعض الصحابة عامة من قبل بعض العلماء، فكان من الصحابة الرواة الشاميين الذين ذكروا حسب مجموع الأحاديث التي رُويت عنهم أبو ذر الغفاري الذي روى مائتين وواحد وثمانين، وأبو إمامة الباهلي: مائتين وخمسين، وعُبادة بن الصامت: مائة وسبعة وخمسين، والنعمان بن بشر: الذي روى مائة واثنين وأربعين حديثا "[5].

فلعل هذه القلة في الرواية لدى الشاميين مردها لتشددهم في تحري الدقة والحذر من الوقوع فيما لا يليق بهم، أضف إلى ذلك أن أهل الشام كانوا يصرفون جل اهتماماتهم إلى كتاب الله العزيز القرآن الكريم، كما أن قرب بلاد الشام من حدود الروم جعلتهم في رباط دائم فلعل ذلك أسهم في قلة عدد الأحاديث المروية عنهم!

وبعد الرواة الشاميين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظهرت طبقة التابعين الشاميين الذين برز من بينهم رواة ثقات للحديث النبوي الشريف، ذُكر منهم : " إبراهيم بن أبي عبلة، وشعيب ابن أبي حمزة الحمصي، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومحمد بن الوليد الزبيدي، وعبد الله بن محيرز الجمحي، وضمضم بن زرعة، ورجاء بن حيوة الكندي، وبُجير بن سعد الكلاعي، ويونس بن ميسرة بن حليس، وزيد بن واقد الدمشقي، والوضين بن عطاء، وعبد الله بن شوذب، والنعمان بن المنذر الدمشقي، وميسرة بن معبد اللخمي، وعبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة، وأبو عبد الله بن عبيد الكلابي، ويزيد ابن أبي مريم، وأبو بكر ابن أبي مريم، والعلاء بن حارث، ومكحول الفقيه، وعبد الله بن العلاء، وشرحبيل بن مسلم "[6].

ولقد عُرف الصحابة رضوان الله عليهم وتابعيهم وتابعي تابعيهم – رضوان الله عليهم جميعا – بشد الرحال لطلب الأحاديث الشريفة، والسفر لأجل تحصيلها وحفظها، وروايتها، ولم يكن الصحابة الشاميون والتابعون

[1] - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي 349/4.
[2] - الطبقات الكبرى لأبي سعيد 412/7.
[3] - تاريخ دمشق (مخطوط) لابن عساكر 88/17.
[4] - المصدر نفسه 376/13.
[5] - ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد 63/1.
[6] - معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، ص242.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وتابعوهم بدءا من أولئك، حيث اشتهروا جميعا بالرحلة في طلب الحديث النبوي الشريف، فقد روي أن رجلا رحل من المدينة إلى أبي الدرداء بدمشق، فسأله عن حديث[1].

والواقع " أنه بعض من العلماء الشاميين اشتهر بأحاديث معينة رويت عنه، ولم ترو عن غيره، فمثلا يروى أن الزهري له نحو تسعين حديثا انفرد بها عن النبي صل الله عليه وسلم لم يروها أحد من الناس سواه، وليس أحد من الأئمة وله أخبار انفرد بها "[2].؛ لذا فحريٌّ بأهل الحديث أن يشدُّوا الرحال إلى مثل هؤلاء رضي الله تعالى عنهم وجزاهم على الإسلام وأهله خير الجزاء.

أما عن الإسناد، فلم يكن الرواة الشاميون في بدء الأمر، لا سيما في عصر الصحابة والتابعين يرون ضرورة الحاجة إلى الإسناد أو السند، حيث كانت أكثر أحاديثهم مراسيل ومقاطيع دونما إسناد وقد اشتهر بعض التابعين الشاميين بالإرسال، نذكر منهم: عمر بن عبد العزيز الخليفة، ومكحول الشامي، وعطية بن قيس، وعبد الرحمن عمر الأشعري، وحرام بن حكيم بن خالد الأنصاري، ورُزيق أبو عبد الله الألهاني، وشهر بن حوشب[3]. ولعل الثقة الكبيرة التي يتبادلها التابعون في الشام – في بادئ الأمر - كانت سببا رئيسا في كثرة الأحاديث المرسلة والمقطوعة، أضف إلى ذلك ندرة الأحاديث الموضوعة وضعف تواجدها. الأمر الذي جعل أهل الشام من التابعين وتابعيهم لا يتمسكون بالإسناد ويأخذون الأحاديث بدونه؛ لذا كانت أحاديثهم في جلها مراسيل ومقاطيع.

ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا، فمع مطلع القرن الثاني الهجري تقريبا دبَّ الوضع وتسرب إلى الحديث النبوي الشريف، بسبب دخول بعض الرواة الذين تنقصهم المؤهلات المطلوبة لرواية الحديث، ولا تتوفر فيهم كافة الشروط الضرورية لرواية الحديث، حتى انتبه بعض العلماء إلى ذلك وانتقدهم، فهذا حُدير بن كريب الحمصي يقول في حق هؤلاء:" ما رأيت مثل أصحاب الحديث، يأتون من غير أن يدعوا، ويزورون من غير شوق، ويرمون بالمسألة، ويعلون بطول الجلوس "[4].

فبهذا ظهرت الحاجة ضرورية إلى ذكر سند الحديث، لتزعزع الثقة – كما رأينا – وكثرة الأحاديث الموضوعة؛ لذا تعالت أصوات العلماء والفقهاء تنادي بضرورة الإسناد وذكر سند كل حديث، فهذا الزهري الذي انتقل إلى الشام فوجد التابعين الرواة من أهل الشام يروون الأحاديث من دون سند، ومن أُولئك إسحاق بن أبي فروة، فخاطبه قائلا: " قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجراك على الله لا تسند حديثك؟! تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة "[5]، ولم يقف الزهري عند حد لومه لإسحاق بن أبي فروة على صنيعه هذا، بل وجه لومه وعتابه لأهل الشام من رواة الحديث النبوي الشريف كافة لعدم ذكرهم سند الحديث، وعدم الاهتمام به، فقال لهم: " يا أهل الشام، مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم؟! "[6].

ولعل صنيع رواة أهل الشام هذا دفع بعض العلماء وكذلك الفقهاء إلى تفضيل أحاديث باقي الأمصار الإسلامية، من مثل أهل المدينة، وأهل البصرة عن تلك التي يرويها الرواة التابعون، وغيرهم في بلاد الشام، وذلك بسبب عدم إسنادهم الأحاديث النبوية الشريفة، حتى قيل: " اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصحّ الأحاديث ما رواه أهل المدينة، ثم أهل البصرة، ثم أهل الشام "[7]، فجعلوا رواة أهل الشام في المرتبة الثالثة والأخيرة كما رأينا! ولعل تلك المرتبة يفسرها عدم التزام الرواة الشاميين بالإسناد إلا بعد حين، حيث قضوا زمنا أطول من غيرهم من باقي الأمصار الإسلامية الأخرى من مثل أهل المدينة، وأهل البصرة، وأهل مكة أحاديثهم بلا إسناد!

ولذا صار لزاما على أهل الحديث في الشام أن يتبيّنوا الأحاديث الصحيحة من الأقوال الموضوعة، فانبرى عدد من العلماء تخصصوا في الحديث، وفي نقده، ونقد المحدِّثين، وقد برز من أهل الشام في هذا المجال

---

[1] - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 94/1.
[2] - الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم 135/1.
[3] - ينظر تهذيب التهذيب للعسقلاني 290/10.
[4] - تهذيب ابن عساكر 90/4- 91.
[5] - معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، ص6.
[6] - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي 148//5.
[7] - تدريب الراوي في شرح النواوي للسيوطي 86/1.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

عدد من هؤلاء، نذكر منهم: محمد بن الوليد الزبيدي الذي كان من أعلم أهل الشام بالحديث، والأوزاعي الذي يقول في هذا الشأن: " كنا نسمع الحديث، فنعرضه على أصحابنا كما يُعرض الدرهم الزيف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا، وما تركوا تركنا "[1]، وكذلك يُعدُّ أبو إسحاق الفزاري من أعلم نقَّاد الحديث والمحدِّثين الشاميين، حيث قيل في حقه: " إن الرشيد أخذ زنديقا ليقتله، فقال أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ قال فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وابن المبارك؟ يتخللانها فيخرجانها حرفا حرفا "[2]، وتطور نقد الحديث والمحدِّثين في الشام، ودخل مراحل متقدمة حتى صار الناس يُفاضلون بين العلماء سواء في المصر الواحد أي داخل الشام أو نقد بلد بكامله، كأن ينقد عالم شامي أهل بلد آخر مثل العراق أو الحجاز أو غيرهما، ومن ذلك موقف ابن شهاب الزهري وهو راوي شامي، ناقد نقاد بلاد الشام الذي " أطلق على أهل مكة في زمانه أنهم ينقضون عُرى الإسلام، وما استثنى منهم أحدا، وفيهم من جملة العلماء من لا خفاء بجلالته في الدين، وأظن ذلك – والله أعلم – لما رُوي عنهم في الصرف ومتعة النساء "[3]، ولم يقف هذا النقد عند ذلك الحد، بل تعداه إلى أن صار به الأمر ليتطور فيصبح عِلما يُحسب له ألف حساب يُعنى بالحديث والمحدِّثين، يطلق عليه علم (التجريح والتعديل) الذي يختص بمعرفة الرواة والتمييز بين المدلِّس والوضَّاع والكذَّاب، وقد برز من النقاد الشاميين ثلة، منهم الوليد بن سلم، وبقية بن الوليد اللذين تم اتهامهما فيما بعد بالتدليس، حيث قيل في شأن الوليد بن سلم في هذا: " كان الوليد مدلسا ربما دلَّس على الكذابين "[4]، كما قيل أيضا في بقية بن الوليد في هذا الشأن: " يحدث عن قوم متروكي الحديث وعن الضعفاء ويحيد عن أسمائهم إلى كناهم ومن كناهم إلى أسمائهم ويحدِّث عمن هو أصغر منه "[5]؛ وغيرهم من هؤلاء الذين تحدث عنهم العلماء والمؤرخون، وكتب التاريخ[6] من أهل الشام إبان الفتح الإسلامي وما بعده.

أما عن حال المحدِّثين مع السياسة، وتأثرهم بها، وموقف الساسة منهم، فهذا أمر وقف عنده المؤرخون طويلا، حيث أكَّدوا الأثر الواضح والجلي للسياسة على هؤلاء المحدِّثين، حيث كانوا يتحاشون الأحاديث التي تمسُّ الحكام والأمراء وهذا طبعا في كل عصر وفي كل مكان كما هو معلوم وليس عند الشاميين فقط آنذاك، فمثلا في عهد الدولة الأموية تجد أن الأحاديث التي قد تنقص من شأن الدولة الأموية، أو يُحسُّ منها المساس من بني أمية، لا تُروى في الشام مطلقا ولا يفعل الرواة ذلك إلا في خارجها، فالموالون لبني أمية لا يروونها بمحض إرادتهم، أما غيرهم فيتحاشاها خوفا وإشفاقا!

فمثلا الحديث: " أول من يبدد سُنتي رجل من بني أمية يُقال له يزيد "[7]، لا أحد يستطيع روايته داخل بلاد الشام، أما غيره من الأحاديث التي كانت تُشيد بمعاوية – مثلا – فتجدها تُروى وبكثرة في بلاد الشام، فمن ذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن جابر وأسنده واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " الأمناء عند الله ثلاثة: جبريل، وأنا، ومعاوية "، وقد سُئل أحمد بن عُمير الدمشقي، وكان عالما بحديث أهل الشام عن هذا الحديث فأنكره "[8]، ولعل في هذا ما يكفي للدلالة على تأثير السياسة والسياسيين المباشر والبالغ على المحدِّثين، وبالتالي تأثر الحديث وعلومه الأكيد بالسياسة وأهلها!

أما عن طرق الرواية ونقل الحديث في الشام خلال الفتح الإسلامي، فقد عرفنا فيما سبق من حديث أن عددا كبيرا من الصحابة – رضوان الله عليهم – انتقل إلى الشام خلال الفتح الإسلامي واستقروا فيها، ومن أشهر

---

[1] - كتاب الجرح والتعديل للرازي 31/1.
[2] - تذكرة الحفاظ للذهبي 349/1.
[3] - جامع بيان العلم وفضله لابن أبي عبد البر 154/2.
[4] - تذكرة الحفاظ للذهبي 376/1.
[5] - تهذيب ابن عساكر 275/3.
[6] - ينظر مثلا تهذيب التهذيب لابن عساكر 64/2، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام 43/6 وغيرهما كثير.
[7] - تاريخ الإسلام المشاهير والأعلام للذهبي 92/3.
[8] - تهذيب ابن عساكر 362/7.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وأولئك أبو الدرداء وعُبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل، وغيرهم من الصحابة الأجلاء كثير، حيث حملوا على عاتقهم مهمة نشر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين بجهودهم الكبيرة مهَّدوا لنشوء حركة علمية لرواية الحديث الشريف كان من ثمارها تأسس مدرسة الشام لرواية الحديث ونقله، ففي أواخر القرن الأول الهجري اكتمل ظهور هذه المدرسة ذات الطابع الخاص في التدقيق في رواية الحديث النبوي الشريف وتوثيقه، وذلك تزامنا مع تصاعد حركة التأليف والتدوين في عهد الدولة الأموية[1].

وقد اعتمدت هذه المدرسة طرقا وأساليب لرواية الحديث، ونقله، وأخذه، وكيفيته، وعند التتبع التاريخي لهذه المدرسة والقواعد التي اعتمدتها لرواية الحديث وأخذه ونقله، نجد أنه كان في القرن الأول الهجري ينقل الحديث مشافهةً عن طريق ما يُعرف عندهم بالسماع والإملاء والعرض، حيث يتلقى الطلاب الحديث عن شيخهم مشافهة، ثم يعرضون عليه ما سمعوه منه وما كتبوه مباشرة ليتأكد من صحة ما كتبوه، وذلك بما يشبه قراءة القرآن الكريم على الشيخ، والعرض هذا عند علماء الحديث يعني القراءة[2]. وقد اتبع الشاميون أساليب دقيقة في الرواية، منها:

السماع، ويُعدُّ الأصل في التلقي عن الشيخ، وهو أن يقرأ الطالب في حضرة شيخه فقد يجيزه الشيخ كما قدَّم أو يصحح له.

الإجازة، وذلك بأن يُجيز الشيخ رواية الحديث للطالب دون قراءة، وقد يجيز الشيخ تلميذه وإن كان بعيدا عنه ويقطن بلادا غير بلاده، فقد ذُكر أن " ممطور أبو سلام الدمشقي وهو من ثقات الشاميين يروي عنه بالإجازة يحيى بن كثير "[3].

وكان بعض العلماء الشاميون لا يكتفي من الحديث أن يقول حدثنا حتى إن كان يروي عن أبيه، بل يُحلِّف الراوي ثلاثا على صدقه[4].

هذه بعض الطرق للرواية التي عُرفت في الشام، وكان لها الأثر البالغ في تشكل منهجية " التحمل والأداء " لدى محدثي القرنين الثاني والثالث الهجريين[5]. فقد طُبِّقت قواعد الضبط التي عُرفت لاحقا باسم " الجرح والتعديل " فيتم التدقيق في عدالة الراوي، وضبطه، ومدى اتصاله بالسند، وقد اعتمد العلماء الشاميون هذه القواعد مبكرا بفضل جهود الصحابة الذين استقر بهم الحال في الشام خلال الفتح الإسلامي والذين قعَّدوا هذه الأسس للرواية واعتبروها أصولا للسنة النبوية الشريفة[6].

ويمكن هنا التعريج على أشهر رواة الحديث في الشام ومحدِّثيهم، فنذكر منهم:

يحيى بن يحيى الغساني، كان من كبار فقهاء الشام ومحدثيها، نشأ بعد الفتح الإسلامي للشام، وكان من التابعين أُعتمد عليه في رواية عدد من الأحاديث، وكانت له مجالس علمية عامرة بدمشق[7]، وجنادة بن أبي أمية الأزدي، من رواة الحديث المعروفين شارك في الفتح ثم استقر في الشام، ونقل عن الصحابة روايات ذات أهمية فقهية وتاريخية[8]، وأبا الدرداء، من أبرز الذين أقاموا في الشام بعد الفتح، أنشأ حلقات علمية لتعليم القرآن والحديث، وكان له أثر عظيم في ترسيخ الرواية الشفوية، والانضباط في الأداء[9].

---

[1] - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله، ص308.
[2] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 28/1.
[3] - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي 305/4.
[4] - ينظر إحياء علوم الدين للغزالي 532/4..
[5] - تدريب الراوي للسيوطي 147/1.
[6] - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 124/2.
[7] - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني 285/1.
[8] - سير أعلام النبلاء للذهبي 112/4.
[9] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي 98/1.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ونتيجة لجهود هؤلاء الصحابة الأجلاء، ولهذه الدقة، ولذلك الضبط، فقد تميزت الرواية عند الشاميين عن غيرها مما عند باقي الأمصار الإسلامية من حيث طرق الرواية وأنماطها وأساليبها، ويمكن ذكر بعض منها في هذه العُجالة:

الاعتماد على الرواية الشفوية المباشرة، فكان الصحابة في الشام – رضوان الله عليهم – يروون الحديث مشافهةً، ويحرصون على الأداء الدقيق، مما ساعد على حفظ النصوص النبوية الشريفة دون تحريف أو زيادة[1].

قوة الإسناد وقلة التدليس، تميزت روايات الشاميين بقوة الأسانيد، وقلَّ فيها التدليس مقارنةً بالعراق، حيث كان الرواة يصرحون بالسماع غالبا[2].

قلة الوضع في الحديث، لم تشهد بلاد الشام في القرنين الأول والثاني الهجريين انتشارا واسعا للوضع في الحديث، بسبب قرب عهدهم بالصحابة، ووجود رقابة علمية صارمة بسبب تعدُّد الأجناس والديانات في الشام، الأمر الذي استوجب على المحدِّثين التشدد في النقد، والتحقق من النصوص، والتدقيق في الروايات وأصحابها حتى لا تختلط بالقصص الإسرائيلية، وغيرها من الديانات السائدة في بلاد الشام آنذاك[3].

ظهور التصنيف المبكر، بدأت حركة تصنيف الحديث في الشام مبكرا، وظهرت كتب ومصنفات تهتم بجمع الأحاديث وتوثيقا مثل: " سنن سعيد بن أبي عروبة "، و" مصنف عبد الرزاق " الذي تأثر بالروايات الشامية[4].

الاهتمام بفضائل الشام، وردت أحاديث كثيرة في فضائل الشام، مما عزَّز مكانتها العلمية، مثل حديث: " طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها "[5]

التوازن بين الرواية والدراية، لم يكتف الشاميون بنقل الحديث، بل اهتموا بفهمه وتفسيره وظهر فيهم علماء فقه وحديث، مثل الأوزاعي الذي جمع بين الدراية والرواية[6].

غلبة الأحاديث الفقهية والسياسية، وذلك بسبب ارتباط الشام بالدولة الأموية، فكان اهتام لافت، وخاص بالأحاديث المتعلقة بالسياسة الشرعية، والجهاد، والفتوح.

ولعله من صائب القول أن نقول أن بلاد الشام منذ بداية الفتح الإسلامي لعبت دورا بالغ الأهمية في نشر الحديث، وتطوير مناهج نقله وضبطه، وأسهم الصحابة والتابعون الشاميون في إرساء أساس علمي دقيق للرواية، انتقل فيما بعد إلى باقي الأمصار الإسلامية، وكانت المدرسة الشامية إحدى الركائز الكبرى في علم الحديث، والدراية والتاريخ الإسلامي.

هذا تتبع تاريخي سريع لرواية الحديث عند الشاميين، تعرضتُ من خلاله إلى المراحل التي مرت بها رواية الحديث النبوي الشريف وتطورها، وكذلك الرواة من الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم، والمميزات التي تميزت بها رواية الحديث عند الشاميين عن غيرهم من رواته في الأمصار الإسلامية الأخرى، فعساه قد أعطى صورة أحسبها كافية في هذا الصدد.

---

[1] -تهذيب التهذيب للعسقلاني 45/1.
[2] - سير أعلام النبلاء للذهبي 210/5.
[3] - الموضوعات لابن جوزي 33/1.
[4] - صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبو غدة، ص88.
[5] -سنن الترمذي (كتاب الفتن) رقم الحديث 3954.
[6] - البداية والنهاية لابن كثير 220/10.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المطلب الثاني: تدوين الحديث الشريف في الشام خلال الفتح الإسلامي

كما هو معلوم أن النبي صلَّى الله عليه وسلم نهى بادئ الأمر أصحابه عن كتابة الحديث وتدوينه، إنما ذلك كان خوفا من اختلاطه بالقرآن الكريم، فقد روى أبو سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم قوله: " لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه "[1]، ولمَّا اطمئن الرسول صلاة الله وسلامه عليه إلى عدم اختلاط الحديث الشريف بالقرآن الكريم أجاز كتابة الحديث وتدوينه كما هو معلوم.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع بالنسبة للمسلمين بعد القرآن الكريم والذي شكل أساسا في جميع عباداتهم ومعاملاتهم.

ولعل الحاجة إلى روايته وتدوينه أصبحت ملحّة خصوصا مع توجه المسلمين إلى الفتوحات الإسلامية ولا سيما فتح بلاد الشام التي صارت مستقرا لكثير من الصحابة وكبارهم بعدما انتشر فيها الإسلام، من مثل بلال بن رباح، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وغيرهم، مما جعل الشام مركزا مهما لرواية الحديث، ومهدا أكيدا لتدوينه وتوثيقه[2]، حيث توافدوا إليها بأعداد ليست قليلة خلال الفتح الإسلامي سنة 13- 19ه/634- 640م فأسهموا بعد ذلك بشكل كبير في رواية الحديث الشريف وتدوينه ونشره، فكان لذلك الأثر البالغ في نشوء حركة علمية دؤوبة في جميع العلوم لا سيما علم رواية الحديث وتدوينه وتوثيقه.

ومن خلال تتبع الصحابة الشاميين تجد أنهم اعتمدوا على الحفظ والرواية المباشرة ، فكان التدوين محدودا في بداية الأمر، إلا أنه وجدت صحف دونها بعض الصحابة – رضوان الله عليهم جميعا - بمجهود فردي، من تلك الصحف نذكر صحيفة الصحابي همام بن حفصية (ت101ه) التي رويت عن أبي هريرة[3]، وصحيفة عبد الله بن عمر الذي يسميها بالصادقة، وكذلك صحيفة أبي الدرداء التي ضمت أحاديث في الزهد والآداب، وصحيفة عبادة بن الصامت في الأحكام والفقه، وصحيفة مكحول الشامي الذي كان من كبار فقهاء الشام في القرن الأول الهجري[4].

فأذن هم يقومون بتدوين العلوم من مثل الحديث والتفسير وغيرهما، ولا يكتبون الحديث منفردا عن غيره من العلوم، بل كان يُدوّن ضمن علوم عديدة، ومع قيام الدولة الأموية التي جعلت من مدينة دمشق عاصمةً لها سنة 14ه- 661م أخذ الخلفاء الأمويون يشجعون العلماء والمحدِّثين على الاهتمام بالحديث النبوي الشريف روايةً وتدوينا[5]، واستمر الأمر على حاله إلى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه وأرضاه – حيث أمر بتوثيق الحديث وتدوينه ولا أدلَّ على ذلك من كتابه الذي بعث به إلى أبي بكر بن عمر بن حزم والي المدينة آنذاك، حيث يقول له فيه: " أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديث عمرة بنت عبد الرحمن، فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله – قال الواقدي: قال عمر بن عبد العزيز ما بقي أحد أعلم بحديث السيدة عائشة - رضي الله عنها وأرضاها – من عمرة "[6]، ولم يقف الخليفة عمر بن عبد العزيز عند هذا الحد، بل أخذ يدون الأحاديث التي يرويها أصحابه بمجلسه وذلك بأن جعل مجموعة من الرجال كلفهم بالمهمة يكتبون كل ما يرويه الرواة في مجلس الخليفة عمر بن عبد العزيز من أحاديث شريفة، فكان الخليفة عمر بن عبد العزيز إنما يفعل ذلك بدافع الخوف من ضياع بعض الأحاديث بسبب وفاة الرواة.

---

[1] - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 63/1.
[2] - ينظر تاريخ الأمم والملوك للطبري 412/3.
[3] - تقييد العلم البغدادي، ص34.
[4] - تذكرة الحفاظ للذهبي 107/1.
[5] - تاريخ دمشق لابن عساكر 55/1.
[6] - فتوح البلدان للبلاذري 82/2.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أما السبب الثاني الذي دفع إلى تدوين الحديث وتوثيقه تمثَّل في تصفية الحديث وتنقيته وصونه من الأقاويل الموضوعة، والدليل على ذلك قول الزهري: " لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها ولا نعرفها ما كتبتُ حديثا ولا آذنت في كتابته "[1].

وفي الواقع أنَّ تدوين الحديث في الشام آنذاك كان موضع أخذ ورد بين العلماء والمحدِّثين، فمنهم من عمل على تدوين الحديث وتوثيقه ولديه أسبابه ودواعيه – كما رأينا آنفا – ومنهم من كتب مترددا ومضطرا، ومنهم من لم يكن مؤيدا لكتابة الحديث وتوثيقه، حتى وجدنا منهم من يقول في ذلك: " كان هذا الأمر شيئا شريفا إذ كان الناس يتلقونه بينهم، فلما كُتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله "[2]. وهو إذ يرى ذلك فله أسبابه ودواعيه.

وبالرغم من ذلك، فقد برز عددٌ من الشاميين صحابةً وتابعين وتابعيهم كتبوا العلم ودونوه بما في ذلك الحديث النبوي الشريف، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الوليد بن يسلم، وعبد الرحمن بن عائذ الأزدي الحمصي الذي يقال أنه لما تُوفي ترك كتبا وصحفا من علمه[3]، وخالد بن معدان المتوفى سنة 104ه، وعبد الله بن زيد الذي يقال أنه " عندما تُوفي خلَّف حمل بغل كتبا "[4].

ومنهم أيضا مكحول الشامي، وعبد الرحمن بن غنم، وأبو إدريس الخولاني الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في رواية الحديث وتدوينه ومن ثَمَّ نشره من خلال حلقات العلم في المساجد كالمسجد النبوي بدمشق، وغيرها من وسائل العلم من مثل الصحف التي اشتهر بها بعض المحدثين والرواة والمدونين.

ولقد اتبع الرواة من أهل الشام صحابةً وتابعيهم وتابعي تابعيهم عرفا تمثل في عدم كتابة الحديث من قبل مدونه إلا بعد أخذ الأذن من محدثه الذي يمنحه الأذن أو يمنعه. وعلى هذا توجد دلائل كثيرة، ومواقف موثوقة، منها أن شعبة بن الحجاج، قال لبقية بن الوليد: " اكتب لي حديث بُجير، فكتبه، فقال له بقية: كيف يحل لك أن تكتب ولا يحل لنا أن نكتب؟ فأذن له بالكتابة "[5].

وكما ذُكر آنفا أن تدوين الحديث في الشام في تلك الآونة كان مختلطا مع غيره من العلوم من مثل التفسير، والقصص، وغيرهما؛ لذا لا يوجد في الشاميين من يؤلف في الحديث منفردا حتى أواخر القرن الثاني الهجري، حيث لا وجود لمدونين للحديث في تلك الحقبة التي سيطر فيها العباسيون على مقاليد الحكم في الشام واستلاؤهم على دمشق، ومن ثَمَّ نقلوا الخلافة إلى العراق، حيث كانوا لا ينظرون للشاميين بعين الرضا، فكان بعض من الشاميين بينهم رواة للحديث مهددين بالقتل، من مثل الأوزاعي وغيره الذين ظهر بعدهم ثلة من العلماء من روا ة الحديث أمثال إسماعيل بن عباس توفي سنة 182ه الذي كان يعتمد على حفظه، فلم يكتب شيئا حتى وقع خلل فيما يحدث به[6].

ولعل في ابتعاد أمثال هؤلاء العلماء عن كتابة الحديث وتدوينه دليلٌ عما كانوا يلاقونه بسبب تداعيات السياسة والسياسيين وأثارها السلبية على العلم والعلماء – للأسف - في كل وقتٍ وحين.

وبين هذا وذاك ليس بوسعنا سوى القول بأن بلاد الشام وعلماءها الأجلاء الذين كان لهم الدور الفعال في التمهيد لنشوء حركة عملية رائدة في العلم وفروعه، لاسيما في مجال رواية الحديث - مثار موضوعنا هنا في هذه السانحة – وتدوينه الذي دعمته الدولة الأموية وشجعت الرواة والمحدثين على توثيقه مما أدى إلى حفظه ونشره خاصةً في عهد الخليفة عمر بن العزيز. وبهذا يمكن القول بأنه قد تأسست مدرسة أصيلة مهدت لحركة تدوين للحديث في القرن الثاني الهجري وما بعده.

وبهذه الرحلة التاريخية التي عبرنا من خلالها مراحل متعددة ومتنوعة سلكها الحديث الشريف روايةً وتدوينا من خلال حركة علمية كبيرة ونهضة حضارية إسلامية، لم يسبق لبلاد الشام أن رأت مثلها، نصل إلى المبتغى بعونه تعالى الذي نحمده على آلائه التي لا تُعد ولا تُحصى، فله الشكر والمنة، وله الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا.

---

[1] - تقييد العلم للبغدادي، ص108.
[2] - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (مخطوطة) 44/10.
[3] - ينظر تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي 36/4.
[4] - المصدر نفسه 436/7.
[5] - تهذيب ابن عساكر 374/3- 375.
[6] - ينظر تذكرة الفاظ للذهبي 230/1.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الخاتمة

لا بد لكل عمل طموح مثمر من نتائج أكيدة تضفي عليه لونًا وشكلا من أشكال الفائدة يجعله عملا أو بحثا مفعما بالعطاء، ولكي نعتمد على هذه النتائج ونركن إليها يجب أن تكون عصارة خالصة لهذا العمل المتواضع، فبدونها لا قيمة لهذا العمل أو البحث مهما كانت ضخامته؛ لهذا جاءت في نهايته خاتمة تُعدُّ عصارته، وروحه بحيث حوت أهم النتائج التي انتهت إليها هذه العجالة التي أرجو من الله العلي القدير أن يجعلها ذات قيمة للمطلعين عليها، وأن ينفع بها، ولله الحمد من قبلُ، ومن بعدُ.

وهذه بعض أهم النتائج:

1- إن لتعدَّد الأجناس والقوميات، وكذلك الأديان في الشام قبل الفتح الإسلامي الأثر البالغ في ظهور ثقافات متعددة، ومتنوعة تبعا لذلك التعدَّد الوجودي في الشام.
2- إنَّ التقاء الثقافات المتعددة في الشام وتلاقحها أسس لنشوء حركة علمية مميزة، وأدى إلى تقدم حضاري ميزها عن باقي الأقطار الإسلامية الأخرى.
3- إن العرب قد سكنوا كافة مناطق الشام قبل الفتح الإسلامي، إذ ثبت وجودهم هناك قبل مجيء المسلمين إليها فاتحين، إذ كانوا ينتشرون في جميع أرجائها ومناحيها.
4- إن استيطان العرب المسلمين في الشام أثناء الفتح الإسلامي وبعده عملية متعددة المراحل بدأت بالاستقرار العسكري المؤقت، وانتقل تدريجيا إلى التحول الحضري الكامل، ولقد أسهم هذا الاستيطان بوضوح في صياغة هوية الشام العربية الإسلامية.
5- كان للموقع الجغرافي الهام للشام، وأهميتها التاريخية الدور الأكبر في جعلها مركزا للحضارات في الشرق والغرب؛ لذا أصبحت ملتقى ثقافيا هاما.
6- إن الأحاديث المروية عن الصحابة الشاميين – رضي الله عنهم جميعا – تعدُّ قليلةً نسبة إلى تلك المروية عن الصحابة في مكة، أو المدينة، أو الكوفة؛ لأسباب، منها اهتمامهم البالغ بالقرآن الكريم، وإقلالهم للرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أضف إلى ذلك كونهم في رباط دائم لقربهم من حدود الروم، فكانوا متفرغين للجهاد؛ الأمر الذي شغلهم عن كثرة رواية الحديث النبوي الشريف.
7- كانت الثقة العالية المتبادلة بين الصحابة والتابعين الشاميين موجودة وبارزة، مما يفسر كثرة الأحاديث المرسلة والمقطوعة في الشام، وقلة الوضع في الأحاديث النبوية الشريفة عندهم، وعدم حاجتهم للإسناد.
8- إنَّ الزهري هو أول من نبَّه رواة الشام وعلماءها إلى ضرورة الإسناد وشدَّد عليه؛ لذا تمسك رواة الحديث في الشام، ومدونيه بالأسانيد بعد قضائهم فترة ليس بالقصيرة بدون إسناد.
9- إن قلة الأحاديث المروية تجعل راويها عند الشاميين من أهل العدل الثقات، بينما يرى الشاميون أن كثرة الأحاديث تجعل المحدِّث عرضةً للنقد والتشكيك، فغالبية من أقلُّوا الرواية عُدُّوا من الثقات العدول، ونجوا من الغمز واللمز.
10- الرواة الشاميون كانوا يتميزون بالدقة والتثبت في نقل الحديث، والطريقة التي ينقل بها، ومن خالف أو تهاون في ذلك، فيُتهم بالتدليس خصوصا إذا حدَّث عن عالم ولم يسمع منه، كما يُشترط إجازة المحدِّث من قبل من يروي عنه.
11- كان الرواة الشاميون لا يفردون الحديث النبوي الشريف عن غيره من العلوم، كالتفسير والقصص، وغيرهما؛ فكان ممزوجا مخلوطا مع غيره من العلوم في الشام، ولعل هذا كان ضمن الأسباب التي جعلتنا لا نجد كتابا خاصا بالحديث في الشام آنذاك.
12- أنه من الأكيد أن الفتح الإسلامي لبلاد الشام قد شكَّل منعطفا حاسما في تاريخ المنطقة من حيث التحول الديني، والاجتماعي، والثقافي، وكان لانتقال الصحابة والتابعين لبلاد الشام واستقرارهم فيها، وتشكيل حلقات العلم فيها دورٌ كبيرٌ في ترسيخ علوم الحديث وتأسيس أنماط متميزة من الرواية والتدوين والنقل المعرفي.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التوصيات:

توصي الدراسة بإعادة النظر في التتبع التاريخي للحركات العلمية من خلال الدول الإسلامية المتتابعة المعروفة، والكشف عن أسرارها، وسبر أغوارها، وتحديد الأسباب التي جعلت هذه الدول في تلك العصور المزدهرة بالعلم منارات علمية قادت العالم، وسادت الحضارات الإنسانية قرونا من الدهر. عسانا نحاكي تلك الخطوات ونأخذ في هذا اليوم وفي هذا العصر بتلك الأسباب التي قادت العرب والمسلمين إلى سيادة العالم حينا من الدهر!!

المصادر والمراجع

كتاب الله العزيز: القرآن الكريم.

1- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، محمد بن أحمد، تحقيق ميخائيل خان دغويه،
2- (د/ط)مطبعة بريل ليدن سنة 1906م.
3- الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، عن نسخة أشرف عليها أحمد شاكر (د/ط) مطبعة الإمام بمصر سنة 1345م.
4- إحياء علوم الدين للغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (طبعة المطبعة الميمنية بمصر) سنة 1331ه.
5- الأخبار الطوال للدينوري، أحمد بن داود (د/ط) دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة 1960م.
6- الإمبراطورية البيزنطية لمحمود سعيد عمران (د/ط) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع سنة 2009م.
7- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأحمد شلبي (ط/2) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/مصر سنة 1959م.
8- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (1935- 1945م) لحسن حسن إبراهيم (د/ط) القاهرة/ مصر (د/ت).
9- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي، شمس الدين محمد بن محمود (د/ط) مكتبة القدسي سنة 1383ه.
10- تاريخ الأمم والملوك للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د/ط) مطبعة الاستقامة، القاهرة سنة 1939م.
11- تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان (د/ط) (د/ن) القاهرة/ مصر سنة 1902م.
12- تاريخ الرسل والملوك للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط/2) دار المعارف بمصر سنة 2024م.
13- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين لحنى فيليب (د/ط) دار الثقافة ، بيروت/لبنان سنة 1950م.
14- تاريخ فلسطين لتيسير يوسف جبارة (ط/3) دار الشروق للنشر والتوزيع عمان/الأردن سنة 2016م.
15- تاريخ الكنيسة السريانية والأنطاكية لتوما سوير يوس (د/ط) مطرانية بيروت سنة 1953م.
16- تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) لابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن، المجلدة الأولى، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1951م.
17- تدريب الراوي في شرح النواوي للسيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الشيخ نورالدين عوامة (د/ ط) دار النوادر (د/ت).
18- تذكرة الحفاظ للذهبي، شمس الدين محمد بن محمد (د/ط) مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد (د/ت).
19- تعدد الثقافات في المشرق للمستشرق جورج قرم، (د/ط) دار الفارابي بيروت/لبنان سنة 2008م.
20- تقييد العلم للبغدادي، أبي بكر أحمد بن علي، تحقيق يوسف العش (د/ط) المعهد الفرنسي بدمشق سنة 1949م.
21- التنوع الثقافي في بلاد الشام وتأثيره في النهضة العلمية الإسلامية لعبد العزيز الدعيثم (مجلة دراسات تاريخية) العدد 12.
22- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (د/ط) دار صادر، بيروت/لبنان عن مطبعة حيدر أباد سنة 1325ه.
23- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، (ط/3) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت/لبنان سنة 1967م.
24- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لابن عبد البر، أبي عمر يوسف (د/ط) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (د/ت).
25- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري للمستشرق آدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (ط/1) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة/مضر سنة 1949م.
26- دائرة المعارف الإسلامية حولها للنسخة العربية إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشناوي وعبد الحميد يونس بمراجعة ثابت الفندي وآخرين (ط/2)، دار الشعب/القاهرة سنة 1969م.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

27- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي لعبد الرحمن بدوي (ط/3) الناشر وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت/لبنان سنة 1979م.
28- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنلي، تحقيق عبد الحي بن أحم
29- د (د/ط) نشر مكتبة القدسي سنة 1350ه.
30- صحيح الترمذي، أبي عيسى محمد، مطبعة الصاوي (د/ط) بمصر سنة 1934م.
31- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل لعبد الفتاح بن محمد أبو غدة (ط/1) الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب/سوريا سنة 1388ه/1968م.
32- الطبقات الكبرى لابن سعد، محمد (د/ط) دار صادر، بيروت/لبنان سنة 1958م.
33- العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المجلد الأول، القسم الأول (د/ط) منشورات الكتاب اللبناني، دار الطباعة العربية، بيروت/ لبنان سنة 1956م.
34- العراق قبل الفتح الإسلامي للمستشرق مايكل. ج. موروني ترجمة حيدر عبد الواحد راشد (د/ط) دار الرافدين، بيروت، الحمرا/لبنان سنة 2024م.
35- علم الكلام الإسلامي (علم اللاهوت) لسيل موريس (د/ط) الناشر لوزاك وشركاؤه المحدودة، لندن سنة 1964م.
36- فتوح البلدان للبلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، نشر د. صلاح الدين المنجد، (د/ط) مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة سنة 1956م.
37- الفتوحات الإسلامية المبكرة للمستشرق الأمريكي فريد مكغرو موفر (د/ط) الناشر جامعة برينستون، سنة 1981م.
38- الفتوحات العربية الكبرى لجون باجوت جلون، ترجمة خيري حماد ومراجعة معتز أبي القاسم (د/ط) دار الرؤيا للنشر والتوزيع (د/ت).
39- الفَرق بين الفِرق للبغدادي، عبد القاهر بن طاهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د/ط) نشر مكتبة محمد علي صبيح بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة (د/ت).
40- الفِهْرست لمحمد بن إسحاق (د/ط) المطبعة الرحمانية بمصر سنة 1348ه.
41- قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية لراغب السرجاني (د/ط) مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة سنة 2013م
42- الكامل في التاريخ لابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد (د/ط) دار صادر بيروت/لبنان سنة 1965م.
43- كتاب الجرح والتعديل للرازي، أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، (ط/1) مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد سنة 1360ه.
44- لسان العرب لابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ط/3) دار صادر بيروت/ لبنان سنة 2004م.
45- المدارس النحوية لخديجة الحديثي (ط/2) مطبعة جامعة بغداد/العراق سنة 1410ه/1983م.
46- معجم البلدان لياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ط/3) المطبعة الهندية بمصر سنة 1923م.
47- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز، تحقيق د. مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د/ط) القاهرة سنة 1947م.
48- معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله، صححه معظم بن الحسين (د/ط) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت/لبنان (د/ت).
49- المقدمة لابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن خلدون (ط/2) دار صادر بيروت/لبنان سنة 1425ه/2005م.
50- مقدمة في علم المخطوط لفرانسس ديروش، ترجمة أيمن فؤاد سيد(د/ط) مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي سنة 2005م.
51- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني(د/ط) الناشر عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1989م.
52- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سالم النشار(ط/1) الناشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر سنة 1969م.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **LJCAS** and/or the editor(s). **LJCAS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).